معرض الخريف الـ 27 في متحف سرسق ببيروت:

«ثورة الاستقلال» و«حرب تموز» تتكاملان في الفن

بيروت ـ «القدس العربي»

ـ من ناظم السيد:

افتتح في متحف سرسق معرض الخريف السابع والعشرون (من 22 كانون الأول/ديسمبر الى 31 كانون الثاني/يناير 2007) رغم الأوضاع الأمنية التي يمر فيها البلد. أوضاع لم تثن حماسة المنظّمين أو الفنانين المشاركين، لكنها أثقلت بالتأكيد أرجل الزائرين. استقبل هذا المعرض 100 عمل من 85 فناناً يمثلون أجيالاً مختلفة من وجيه نحلة مروراً بجميل ملاعب وغريتا نوفل وصولاً الى رفيق مجذوب وأسامة بعلبكي وفولفيو قدسي. والحال، لم يمنع حضور الجمهور المتقشف من أن يكون المعرض تظاهرة للفن التشكيلي والنحت والتصوير الفوتوغرافي والتجهيز. وزاد من أهمية هذا النشاط السنوي موضوعات الأعمال المعروضة التي استلهمت الحرب. حتى ان جائزة المعرض ذهبت هذه السنة الى الفنانة سمر مغربل التي عرضت سيارات مفخخة، وان كان مشهد تفخيخ السيارات بالعبوات الناسفة التي أودت بحياة سياسيين وصحافيين شبيهة بالسيارات المدمرة بصواريخ الطائرات الاسرائيلية. في كل حال، كانت «ثورة الاستقلال» التي قادها فريق (14 آذار) حاضرة كما الحرب التي دفع ثمنها لبنان، ولا سيما الضاحية الجنوبية والقرى الجنوبية. من هذه الأعمال كولاج «ذو طابع تراثي» لريما صعب، اذ يبدو جانب من شعار «لقاء اليسار الديمقراطي» ومقطع من يد النائب الشهيد جبران تويني في خطاب القسم الشهير. أنطوان برباري عرض منحوتة من البرونز بعنوان «الى سمير قصير» بدت فيها الخطوط قاسية وخشنة من خلال حركات الجسد القوية والمنتفضة. «الحرية» عمل لؤي عضيمي الذي يمتاز بالدقة والهندسة والأناقة على كثير من الزخرفة الأشبه بالمنمنمات. أما ناهد منصور فقدّمت تركيباً بعنوان «مربعات غير آمنة» مؤلفاً من قصاصات جرائد وصور جرحى ومنكوبين. بدوره الياس ديب قدّم عملاً حمل اسم «كي لا تتكرر الحرب. من أجل السلام» عكس بألوانه الزاهية تلك الرغبة في نسيان آلام الحرب. ندى صحناوي أيضاً قدّمت «30 آب (اغسطس) 2006 الضاحية الجنوبية بيروت» ضمّ صوراً كثيرة لمشاهد الحرب من دمار ومنكوبين وجرحى ونازحين. كذلك العمل التشكيلي لزينة قمر الدين بدران «صيف 2006» الذي اقتصر على اللونين الأبيض والأسود، أو أعمال غريتا نوفل «قانا» التي رسمت رجلاً يحمل على كتفيه قصاصة جريدة عن مجزرة قانا كأنه المسيح ينوء تحت صليبه، مي حداد في «شجر، الحرب ولون أحمر»، رائد بحصلي في «مذكرات ما بعد الحرب»، وجيلبير الحاج الذي قدّم ثلاث صور فوتوغرافية لعدد من الأبنية المدمرّة بعنوان «موطن 1»، «موطن 2» و«موطن 3». لوحات وتجهيز وتشكيلات طغت عليها الألوان السوداء والحمراء والبيضاء كانعكاس فوري ومباشر لألوان الحرب. هذه الحرب تحدث عنها الفنان الحروفي والناقد التشكيلي سمير الصايغ في «وقفة تأمل» افتتح بها الكاتالوغ الذي ضمّ أسماء المشاركين ولوحاتهم: «ثمة مواجهة جديدة تتقدم نحوها هذه الأعمال المعروضة، يتحول فيها الفنان من كونه الشاهد الى كونه المحارب، الذي يشن هو الحرب على الحرب. انها المواجهة نفسها التي قام بها فنان الكهوف الأولى، عندما حفر على صخور مغاوره صور الحيوانات المفترسة ليتمكن من اصطيادها، وبالتالي لتتم له الغلبة. فكثير من الأعمال هنا تعيد صور الحرب المفترسة، لا لوصفها بل للغلبة عليها».

على كلٍّ، لم تكن الحرب وحدها الحاضرة. هناك أعمال يصعب حصرها في موضوع، هذا اذا كان لعمل فني ما بعد حداثي موضوع. ومع ذلك يمكن ملاحظة بعض الأعمال التي تقيم صلة بالدين، قبولاً ورفضاً، ايماناً ونقمة. من هذه الأعمال «أرض الميعاد» لفولفيو قدسي. لوحة لرجل وامرأة عاريين بوجهين بلا ملامح يرفعان مادة سوداء من الأرض. الأحرى أنهما مشدودان الى الأرض بهذه المادة اللزجة التي تصل بين أصابعهما والتراب. كذلك عمل آرام جوغيان الذي تظهر فيه صلبان وسط لون أحمر قانٍ. أما لوحة شارل أندراوس بعنوان «صراع» فتمثل رجلين، ملاكاً وشيطاناً على الأرجح، يتصارعان تحت عين ضخمة تسدُّ السماء.

الى هذين الموضوعين، هناك أعمال لافتة في الرسم ليوسف عون في «بناء أبيض»، بسام جعيتاني في «أشواط نامية»، أنيبال سروجي في «تويجيات»، أروى سيف الدين في «رؤية» التي تشيع مناخاً صامتاً لسماء سوداء مع ضوء خافت يعكس في الأفق خطوطاً ذهبية صامتة، رؤوف الرفاعي في «ق 1»، أليسا رعد في «العذراء الأرملة» التي تبرز فيها الحرفة العالية من خلال امرأة تجلس متهالكة على كرسي، عارية تماماً من الأسفل، في غرفة وسخة بجدران مشققة وطلاء قديم. لوحة تحيل على الأعمال الكلاسيكية مع أثر من الانطباعية. كذلك ادغار مازجي في لوحة «الكليم» الانطباعية والتي تصور امرأة عارية على كرسي، عدنان المصري في «زهور يابسة» التي تظهر تكسيرات في الأشكال والألوان تحيل على التكعيبية، تيو منصور في five senses for one death بحسب عنوان قصيدة للشاعرة اللبنانية الأميركية ايتل عدنان، وهي اللوحة الأكبر في المعرض (X200850 سم) التي تظهر وجوهاً أشبه بالأقنعة معلقة على جدران ونبات الصبّار، مع استخدام سخي للون الأحمر. بدوره قدّم قيصر مقداد لوحتين هما «أين شرفتي» و«عاد القمر» اللتان تعكسان أثر العمارة وتشكيلاتها عليهما. بدوره قدّم منصور الهبر كالعادة عملاً قوياً بعنوان «ميليتارية مؤنثة»، وشوقي شمعون في لوحته «حوار» التي تبرز منها خرق خارجة من فتحات وسط خلفية سوداء بالكامل. أيضاً أسامة بعلبكي الذي رسم يدي رجل تقطعان قطعة لحم بحركة ريشة تذكّر بانطباعية فان غوغ وغوغان، وزينة عاصي التي رسمت امرأة يمتزج جسمها بجدار ذي خطوط نافرة وقاسية، وجيرار أفاديسيان في لوحته «جندي صغير يوناني ومنمنمات أرمنية» التي تستعيد تراثاً في الرسم عرفه العرب والفرس أيضاً في فن المنمنمات. وهناك بالطبع أعمال نحتية لكل من مكارديش مزمانيان في منحوتته البرونزية «زارا» التي تمثل جسد امرأة بحركة انسيابية رشيقة صانعة كتلة أنيقة في الفراغ، وفاروجان كاراوغلانيان في منحوتته البرونزية بعنوان «حلم» التي تشكل امرأة ضخمة الوركين في حركة راقصة. وفي التصوير الفوتوغرافي تبرز صورتا ايف عطا الله «منظر 1» و«منظر 2» اللتان تحولتا لوحتين عبر حركة الكاميرا والملامح الضبابية الغائمة. بالطبع هذا اضافة الى أعمال أخرى في الرسم والنحت والتصوير والتجهيز.

معرض الخريف تقليد سنوي يفسح المجال للمواهب الشابة ويعيد توكيد تجارب باتت شبه مكرّسة.

من اعمال ندى صحناوي (القدس العربي)

من اعمال اسامة بعلبكي (القدس العربي)

أسرار تنشر للمرة الأولى عنه

احسان عبد القدوس: الحب هو الذي أعانني على مواجهة كل التناقضات في حياتي الأولى

جمال المجايدة*

■ تروي الاديبة المصرية الدكتورة لوتس عبد الكريم اسراراً جديدة عن حياة المبدع الراحل احسان عبد القدوس، ونشرت تلك الاسرار والحكايات التي تروى للمرة الاولى في كتابها الجديد الذي صدر في القاهرة عن دار لوتس للطباعة والنشر بمناسبة ذكرى ميلاد عبد القدوس التي حلّت في نهاية كانون الاول (ديسمبر) 2007.

وترى الدكتورة لوتس عبدالكريم أن احسان قد تربى في ظل أسرة محافظة، بطلاها جده «الشيخ رضوان» وعمته «نعمات هانم»، وهي بيئة تقليدية تحرص على الدين والحجاب بالنسبة للمرأة. وفي هذه الفترة دخل الكتاب وحفظ بعضاً من آيات القرآن، وكان يلحظ كم تقف أسرته بشدة ضد كل خروج على آداب الدين والتقاليد، كما لاحظ الطفل الصغير مدى التباين بين نوع الحياة في بيت جده ونوع الحياة التي تعيشها أمه الفنانة المعروفة، ثم الصحافية، وقبل هذا كله امرأة متحررة لا يشهد جلساتها الا الرجال، تصادقهم وتحاربهم وتعمل معهم وتكافح.

يقول احسان عبد القدوس: «كان الانتقال بين هذين المناخين يصيبني في البداية بما يشبه الدوار الذهني لكني استطعت التوفيق بين هذه المتناقضات في حياتي بحيث لم تفسد شخصيتي كانسان ولم تقض على مواهبي كفنان وأديب بالحب، الحب هو الذي أعانني على مواجهة كل التناقضات في حياتي الأولى».

«بل وطوال مسيرتي بعد ذلك كنت أحب جدي، وكان هذا الحب يفرض عليّ كل أنواع الاحترام تجاه جدي العالم المتدين الزاهد في الدنيا.. كنت أحب قيمه وتقاليده التي كان يفرضها علينا، وعلى الجانب الآخر كنت أحب أبي وأمي مدفوعاً أولاً بعاطفة البنوة، ولقد دفعني هذا الحب الذي كنت أكنه للقطبين المتنافرين في حياتي الى التعمق في معرفة وادراك وجهة نظر كل منهما بحيث يمكنني الدفاع عنه في مواجهة الطرف الآخر».

سألت الدكتورة لوتس عبد الكريم السيدة لولا زوجة احسان عبد القدوس: لا شك أن الحياة الزوجية مع فنان كبير تتطلب مجهوداً خاصاً وموهبة فذة.

فأجابتها: «لا يوجد رجل بلا عيوب ومش مهم عيوبه أد ايه المهم تقدري تستحملي أد ايه».

يقول أحسان عبد القدوس: «كنت زمان ـ أيام شبابي ـ أرحب بلقاء كل من لا أعرفهم وكنت أسميهم أصدقاء قراءة واستماع وهم يقرأون لي وأنا أستمع اليهم، وكانت أغلبية من يلقاني من قراء القصة كل منهم يعتبر نفسه قصة، وكنت أستمع الى كل منهم وأنا أعلم أنه لن يستفيد كثيراً برأيي.. وربما لا ينتظر رأيي .. انما كنت أستمع اليه كنوع من العلاج النفسي أريحه به لأن مجرد الكلام يؤدي الى راحة عميقة، وقد استمعت الى أسرار أعتقد أنها لا يمكن أن تقال لأب أو أم أو لصديق أو صديقة، انما قد تقال لطبيب نفسي أو لكاتب غريب تقرأ له».

«أنا دائماً أقول عن نفسي انني نصفان : نصف خيالي وفني صرف، هذا النصف ورثته عن أبي الفنان «محمد عبد القدوس»، أما نصفي الآخر فهو واقعي يعيش الحياة بحلوها ومرها، ذلك النصف الواقعي ورثته عن أمي السيدة روز اليوسف». هكذا يقول احسان عبد القدوس عن نفسه.

تكشف الدكتورة لوتس عبدالكريم سراً عندما تقول: ثلاث من أروع قصص احسان عبد القدوس استوحاها مما رويت له، وأصبحت أفلاماً سينمائية، وذات مرة كان تحليلي لشخصية عربية عرفتها عن كثب فيما رويت له عن قصتها.. وبلغته الخاصة وتحويره المميز بدأ يكتب وينشر هذه القصة في «الأهرام»، وكان يوسف السباعي وقتها رئيساً لمجلس ادارة «الأهرام»، وثار السفراء العرب عند بدء كتابة القصة. واحتجوا.. أي بلد عربي يعني؟

واتصل به يوسف السباعي سائلاً: من اين أتيت بهذه المعلومات؟ فاذا به يجيبه بصراحته المعهودة: من لوتس!! وكانت ثورة السباعي عليّ هائلة وهو يقول: يا مجنونة تبقي منهم وتحكي حكاياتهم ولمين؟ لاحسان الذي لا يكتم سراً؟! وتوقف نشر القصة بالطبع.

وتذكر هنا أن قصة احسان عبد القدوس «وعاشت بين أصابعه» قيل انها قصة حياة الشاعر الراحل كامل الشناوي، ولكنها ـ كما تذكر لوتس عبدالكريم ـ ليست قصته تماماً، كما يقول احسان عبد القدوس: «ان فيها شخصية كامل الشناوي ولو أنني نقلت كامل بحذافيره لا تصبح قصة، ولكن يخطر على بال القارئ وهو يقرأ خطوط القصة شخصية كامل، ولكن لم أنقل حياته، والتفاصيل خيال ولكنه خيال يعتمد على الواقع لأن كامل لم يفعل ذلك ولكنه واقع يمكن أن يحدث دون أن يكون شخص معين هو الذي قام به».

وعن قصته «الراقصة والطبال» يقول احسان عبد القدوس: «ان القصة ليست مجرد حكاية، ولكنها أساساً مجال واسع لاطلاق الحرية في الرأي والتصوير والخيال، ومن حقي في القصة أن أكتب ما أريد لأن القصة تطلق الخيال وعندما تكلمت عن شادية ونجاة كان ذلك مجرد نقد خاص داخل القصة على أساس أنه رأي الكاتب».

وعن روايته (لا تطفئ الشمس) يقول احسان عبد القدوس: «انها كانت ومن وحي مجموعة أحداث ومجموعة أشخاص من داخل المجتمع، وهي قصة واقعية ولكن ليس فيها شخصية يمكن تسميتها .. فقصة (حتى لا يطير الدخان) عن الساسة الذين يدخنون الحشيش ويلعبون القمار، ولم أقصد سياسياً بعينه، ولكن هناك في مصر فترة كان الساسة فيها يصنعون ذلك، وتلك قصة أحبها جداً وأعتز بها أيما اعتزاز لأنها من وحي المجتمع».

يقول احسان عبد القدوس: «لقد جلبت لي هذه القصص من المتاعب قدر ما جلبته لي كتاباتي في المواضيع السياسية والوطنية، وأثارت حولي من الجدل والتهم قدر ما أثارته (قضية الأسلحة الفاسدة) وكان يمكنني تجنب كل هذا لو أني رفعت من كل قصة بضعة سطور، ولكني رفضت أن ينزع سطر واحد برضاي، أنا أكتب القصص وأنا أعيش السياسة، وأكتب السياسة وأنا أعيش القصص».

ومن خطاب كتبه احسان عبد القدوس للرئيس الراحل جمال عبدالناصر: «في القصة يبدأ دائماً بالتفكير في عيوب المجتمع وفي العقد النفسية التي يعانيها الناس، وعندما انتهي من دراسة زوايا المجتمع أسجل دراستي في قصة .. وكل القصص التي كتبتها كانت دراسة صادقة جريئة لعيوب المجتمع وهي عيوب قد يجهلها البعض ولكن الكثيرين يعرفونها وهي عيوب تحتاج لجرأة الكاتب حتى يتحمل مسؤولية مواجهة الناس بها.

ومنذ سنين عديدة وجدت في نفسي الجرأة لتحمل هذه المسؤولية والهدف هو ابراز هذه العيوب وأن يحس الناس بأن أخطاءهم ليست أخطاء فردية بل هي أخطاء مجتمع كامل، أخطاء لها أسبابها وظروفها داخل المجتمع، ونشر هذه العيوب سيجعلهم يسخطون وسيؤدي بهم السخط الى الاقتناع بضرورة التعاون على وضع تقاليد جديدة لمجتمعنا تتسع للتطور الذي يختاره وتحمي أبناءنا وبناتنا من الأخطاء التي يتعرضون لها نتيجة هذا التطور. وهذا هو الهدف الذي حققته قصصي. لقد بدأ الناس يسخطون ولكنهم بدل أن يسخطوا على أنفسهم وبدل أن يسخطوا على المجتمع سخطوا على الكاتب أي سخطوا عليّ أنا..

وقد كان الكاتب الفرنسي بلزاك يكتب قصصاً أشد صراحةً من قصصي تدور في المخادع وأقبية الراهبات والأكواخ، وثار الناس عليه في عصره ولكنه اليوم يعتبر مصلحاً اجتماعياً وقصصه تترجم بالكامل في الاتحاد السوفييتي. حيث يعتبر هناك أحد المعاول التي هدمت الطبقات المنحلة.

وبين كتاب العصر الحديث تقوم قوة الكاتب على قدرته على ابراز العيوب الاجتماعية دون أن يطالب بوضع علاج لها.. ان مهمته تقتصر على التشخيص أي ابراز المرض ونتائجه، ألبرتومورافيا في ايطاليا وجان بول سارتر في فرنسا وهيمنغواي وفولكنر في أمريكا، ورغم هذا فهم يرشحون لجائزة نوبل.

كثيرون من القراء يضنون بقلمي أن يكتب قصة تدور حوادثها بين رجل وامرأة، بعد أن تعودوا منه ألا يكتب الا في المسائل الوطنية. وأنا كاتب أهوى الكتابة قبل أن أحترفها. والكاتب المخلص كالرسام والموسيقي والمثال.. كلهم فنانون يعبرون عن عواطفهم. والعاطفة الوطنية لا تنفي العاطفة المجردة التي تدور على الاحساس بالحياة، والرسام الذي يرسم صورة الثورة وصورة الحرية لا ينقص من قدره أن يرسم صورة امرأة عارية.

وقد رسمت بقلمي صورة الثورة وصورة الظلم الذي يحيق بمصر وصورة اللصوص الكبار الذين يستنزفون دمها ولن يوقفني عن رسم هذه الصور أن أرسم بين الحين والحين صورة رجل وامرأة يعيشان قصة، وقد كان غاندي بطل الهند لم تمنعه رسالته الوطنية من أن يكتب فصولاً في كتابه (تجاربي مع الحقيقة) عن النساء اللواتي عشن في حياته وتركن فيها قصص غرام عنيف، وشوقي الشاعر الذي قال «وما نيل المطالب بالتمني» قال أيضاً: «مضناك جفاه مرقده» وشوبان الذي كتب لحن النوتة البولونية كتب أيضاً لحن غرامه بصديقته (جورج صاند) وكتب ألحاناً راقصة، وماوتسي تونغ قائد الثورة الشيوعية في الصين لا يزال يكتب أشعاراً غزلية يتغنى بها الثوار، كل هؤلاء كانوا صادقي العاطفة سواء عندما هتفوا بالحرية لوطنهم أو عندما ترنموا بأناشيد الحب والغرام، انهم فنانون صادقون ولن يصدق أحد منهم في وطنيته الا اذا صدق في التعبير عن كل احساس يثور في نفس الرجل».

ويقول احسان عبد القدوس: «عندما أسافر الى الخارج في اجازة فان معظم وقتي أقضيه على رصيف مقهى وحيداً .. أنظر الى المارة كأني أنظر الى زهور طبيعية نثرها الله على الأرض. زهرة يثيرني جمالها وزهرة تثير عجبي، وزهرة تثير اشفاقي. ومع كل زهرة أتمتع بأن أترك خيالي يتصور لها قصة، ان كل فرد بين ملايين البشر له قصة قائمة بذاتها تصلح للنشر، وأتمتع متعة هادئة بالوقت الذي أقضيه على الرصيف أتمتع بما يملأ عيني من مناظر الزهور البشرية وبما يملأ خيالي من قصص».

وسألته مرة لوتس عبدالكريم عن سر انزوائه، فأجابها: «شاعر بملل وقرف، ملل فظيع، أريد شيئاً يخرجني من هذه الحالة، حدث سياسي ضخم مثلاً يزلزل كياني أو تجربه مجنونة أندمج فيها وأنسى ما حولي».

وأقول له : كل هؤلاء الجميلات لا يثرن اهتمامك وهؤلاء الناس . ويجيبني بثورة: مين الناس دول؟ دول جايين يتفرجوا عليّ زي ما أكون أبو الهول مثلاً لا يعرفونني ولا بيحبوني، دول بيحبوا شهرتي واسمي بس، اللي يحبني هو من يعرف حقيقتي ويقبل غرابة أطواري ويفهم طباعي وشخصيتي ويقبل عيوبي .. يحب عيوبي!

الحب هو أن تعرفني واذا عرفتني تستطيع أن تعرف احتياجاتي ثم تحب عيوبي.

يقول للوتس عبدالكريم: حينما خطبت «لولا» زمان كان أوحش حاجة فيّ مناخيري، فكنت أداعبها قائلا: لازم تحبي ده!

ومرة حلقت شعري نمرة واحد حتى أبدو لها في أقبح صورة وحين رأتني بكت ولكنها أحبتني، أحبت كل عيوبي، هذا هو الحب. الحب هو أن تعرفني. عايز واحدة تحب عيوبي مش تحب اسمي!».

* صحافي من فلسطين يقيم في ابو ظبي

تداعيات

الرؤوس والأحذية

رشاد أبو شاور

■ قبل الترب، لا تقل أنا حالم
هذه (غزة) العلى والمكارم
هذه أرضنا الحبيبة يا قلبي
وهذي رسومها والمعالم
(من قصيدة بقايا أهلي)

اخترت أول بيتين في قصيدة (بقايا أهلي) للشاعر الفلسطيني الكبير (أبوسلمى)، الذي يشرفني أنني أطلقت عليه لقب (زيتونة فلسطين)، حين قدمته في حفل تكريمه في قاعة (جمال عبد الناصر)، بمناسبة منحه جائزة (لوتس) لكتاب آسيا وأفريقيا عام 78، للتقديم لمقالتي...

هذان البيتان من قصيدة قالها أبوسلمى عند زيارته لقطاع غزة عام 66، بمناسبة انعقاد المؤتمر الأول لاتحاد الكتاب الفلسطينيين.

أبو سلمى كما في مطلع قصيدته انحنى ومرغ جبينه بتراب غزة، وقبل رمل بحرها، فهو يلتقي تراب وطنه الذي اقتلع ورمي بعيداً عنه، بلهفة المشتاق، وغبطة الجذلان بعد طول غربة، هي غربة حتى لو كانت في دمشق التي أحبها، وعرفها كثيراً، قبل نكبة فلسطين عام 48.

مرغ أبوسلمي جبينه، ولم يغبر حذاءه، وهو اذ ينحني على التراب كان يتحد به عقلاً، وقلباً، وروحاً، يصلي له، يتشمم فيه عبق التضحيات، والخصب، والانتماء...

لا أريد أن أناقش ما جاء في خطاب السيد محمود عباس رئيس سلطة الحكم الذاتي ـ واسمها هكذا كما ورد في بنود اتفاق أوسلو ـ لأنه باختصار اتخذ قراره ووضع شعبنا وقضيتنا على حافة الهاوية، ودشن مرحلة دموية رغم قوله بأنه يرفض الحرب الأهلية، ومع حرمة الدم الفلسطيني.

انزعجت كثيراً من الخطاب، ومن الدعوة للانتخابات المبكرة، وعزيت نفسي بأنه أبقى الباب موارباً، مع يقيني بأنها مواربة سياسية أقرب ما تكون الى الكمين.

وزير العدل الفلسطيني السابق الأستاذ ناهض منير الريس، الذي عرفناه في الستينات شاعراً (غزيا)، والذي وصلنا صوته عبر مجلات ثقافية عربية، كفانا بمقالته المعنونة: القانون لا يجيز للرئيس الدعوة لانتخابات مبكرة، والتي وصلتي بالبريد الالكتروني، عناء البحث عن مبررات قانونية لا تجيز لرئيس السلطة السيد محمود عباس الدعوة لاجراء انتخابات مبكرة.

أنا فقط أريد التوقف عند نقطتين وردتا في خطاب رئيس السلطة، هما: الرؤوس، والأحذية المغبرة.

قال الرئيس عباس: لا يوجد رأسان في البلد...

أنا أسأله: ماذا تعني بالبلد؟ مناطق (أ) أم (ب) أم (ج) ؟! أم تقصد بلاد (الحواجز) كما سماها الدكتور عزمي بشارة، وكتب عنها رواية بنفس الاسم، أتمنى لو أنك قرأتها !

البلاد لم تحرر، فهي ازدادت عبودية، وضياعاً، وتمزيقاً بفضل (أوسلو) الذي تباهي أنك من وقع عليه، والأمر لا يدعو للمباهاة والفخر، بعد أن أضعتم الأرض، والحقول، وأتبعتم الاقتصاد للاحتلال، وأبقيتم الأسرى في السجون والمعتقلات، علماً أنه في أي مصالحة بين المتحاربين يكون البند الأول اعراباً عن حسن النوايا هو تبادل الأسرى، وتحرير كل من في السجون، لكنكم كنتم مستعجلين وفي سباق مع قيادة (الداخل) التي انتدبت لتفاوض في (مدريد) و(واشنطن)، برئاسة الدكتور حيد عبد الشافي.

اذا كانت البلاد غير حرة فالرؤوس جميعاً تتساوى في الذل والهوان، الا اذا اختارت المقاومة والتحدي لتكون رؤوساً مرفوعة رغم بطش الاحتلال .

في الحالة الفلسطينية، في مناطق السلطة، تتساوى الرؤوس بنظر الاحتلال، فلا يحق لها أن ترتفع، والرأس الذي يرتفع و(يفرعن) برضى الاحتلال، وبتسهيلاته، وبالـ vip، يمكن تنكيسه بسحب هذه الـ vip منه، ومساواته مع المستباحة بلادهم ومواطنتهم، مع فارق أن رؤوس كثيرين منهم ترتفع بكبرياء مقاومتهم لهذا الاحتلال حتى داخل السجون والمعتقلات.

نحن نعرف أن أي حاجز، يتحكم به جنود ومجندات، يمكن أن يحني أي (رأس) ويوجه له الاهانات، وهذا ما حدث مع زميلك رئيس المجلس التشريعي السابق (أبوعلاء قريع)، رغم مباهاته مثلك بالتوقيع على أوسلو، ومنافسته لك بدليل أنه وضع اسمه على كتابين ضخمين عن بلائه الحسن في المفاوضات (السرية) المضنية التي دارت في عتمة (أوسلو)! ...

وبمناسبة الحديث عن الرأس الواحد ـ أنا لا أميل لتأنيث الرأس كما يفعل بعض الكتاب، وهذا ليس انحيازاً للذكورية ـ أسألك : ألم يقتل الاحتلال (رأس) السلطة ياسر عرفات و..لم تفعلوا شيئاً، حتى أنكم للآن لم تأمروا بتشريح الجثة، أو توجيه تهمة حقيقية للقتلة المعروفين!

ماذا عن الأحذية؟!

أنت تحسب يا أبا مازن أنك تحرج أحداً ما، عندما تقول: أنا أريد أن أسأل الذين يعانون، وليس أولئك الذين لم يغبروا أحذيتهم بتراب الوطن...

أحرجت نفسك بهذا التعبير غير الموفق، والمزاود، والذي لا يحترم الوطن نفسه.

فتراب الوطن ليس لتغبير الأحذية، ولكنه لكل ما يجعل الوطن سيداً حراً، مثمراً، حضارياً، متمدناً، متطوراً...

الفلسطينيون في المنافي والشتات، كلهم يريدون العودة للوطن، وهم سينحنون على ترابه ليقبلوه كما فعل شاعرنا (أبوسلمى)، وليمرغوا رؤوسهم فيه، وليهمسوا له بأنهم عادوا رغم المنافي، ولم يندثروا في الغربة، ولذا فهم يستحقون أن يهنأوا بالعيش في ربوعه كما عاش في أفئدتهم وعقولهم وأحلامهم.

كلما اختلف واحد من جماعة السلطة مع صاحب رأي فلسطيني ناقد للسلوكيات والممارسات المنحرفة والفاسدة، فانهم يسألون ببجاحة: أنت لا تعاني مثلنا في الوطن!، أو: تعال وشاركنا المعاناة، مع أن شعبنا يعرف أنهم لا يعانون، ولن يشاركوا أحداً في (الغنائم) التي ينهبونها من عافية الوطن والناس.

كثيرون يسألونكم : هل تملكون السيادة على معبر رفح حتى تزاودوا على ملايين الفلسطينيين في المنافي والشتات، وتطلبون بخفة من كل من يحرجكم برأي، أن يحضر ليعاني؟!

يا أبامازن: يمكن لأي فلسطيني، من فتح، وغير فتح، أن يسألك: هل غبرت يوماً قدميك بزيارة قاعدة عسكرية من أغوار الأردن الى جنوب لبنان؟!

ألم تسخر دائماً من المقاتل الفلسطيني المغبر، المعفر الرأس، والجسم، والملابس، والبندقية؟!

هل تعتبر أن تغبير حذائك هو قمة التضحية والوطنية؟!

أنت تعرف أننا نعرف، وأن شعبنا يعرف، بأن (بعض) من (عادوا) الى الضفة والقطاع قد أثروا، وأثرى أبناؤهم، وأنهم قد أفشوا الفساد، ونهبوا، وسمسروا، واستولوا على (تراب) شاطئ غزة وبنوا عليه الفلل التي تبز قصور أمراء النفط العرب، بالبلطجة، وبالسطو. انهم (شريحة) منتفعي (أوسلو) المنغنغين في (بلاد) أهلها يجوعون، يدفنون أشلاء أبنائهم وبناتهم في تراب (بلدهم)، لتبقى رؤوسهم مرفوعة رغم الاحتلال، ولا يباهون بتضحياتهم التي تفوق كثيراً تضحياتكم بتغبير أحذيتكم!

وأخيراً سأهمس لك بهذا السؤال الذي وجهه لي شاب فلسطيني: هل سبق في يوم من الأيام أن تصورت، مجرد صورة، وأنت بملابس الكاكي، وعلى خاصرتك مسدس، وفي يدك كلاشنكوف؟!

وهل لأنك دائماً سخرت من (الكاكي) و(الفدائي) و(الكلاشنكوف)، تحيط نفسك بكل من يسخرون من المقاومة، ممن أثروا على حساب الشعب المقاوم، و..لا يريدون أن يحلوا عن ظهره حتى آخر قطرة دم في عروقه، وضياع آخر حفنة تراب من تراب (بلده) فلسطين، الذي نكحل بحبات منه عيون شهدائنا ليكون شفاعتهم بين يدي الله يوم القيامة، وتتأففون من (تغبيره) لأحذيتكم لو صادف وهبطتم من سياراتكم الفارهة، أو اضطررتم لمشي خطوات في شارع من شوارع (بلادنا) التي يدمرها الاحتلال..

هنا أتوقف، رغم أنه لدي الكثير لأقوله لك أيها الرئيس، الذي أتمنى من كل قلبي أن يكون (رأساً) في مواجهة (أولمرت) لا اسماعيل هنية، أو فاروق القدومي...